(٥٧، ٥٨): [الوكيل، الكفيل]

ورد اسمه سبحانه (**الوكيل**) في القرآن الكريم أربع عشرة مرة من ذلك.

قوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٦٥]، وقوله سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقوله عز وجل: ﴿ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وأما (**الكفيل**) فقد ورد مرة واحدة، وذلك في قوله سبحانه: ﴿ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ ﴾ [النحل: ٩١].

كما ورد هذا الاسم الكريم في الحديث الصحيح في قصة الإسرائيلي الذي قال: (كفى بالله كفيلا) وسيأتي تخريجه قريبًا.

المعنى اللغوي:

قال في اللسان: «قال ابن سيدة: وكِلَ بالله وتوكل عليه واتكل: استسلم له، يقال: توكل بالأمر إذا ضمن القيام به، ووكلت أمري إلى فلان أي: الجأته إليه واعتمدت فيه عليه، ووكَّل فلان فلانا: إذ استكفاه أمره ثقة بكفايته أو عجزًا عن القيام بأمر نفسه، ووكل إليه الأمر: سلمه، ووكله إلى رأيه وكلاً ووكولاً: تركه»[1].

(١) اللسان ٦/ ٤٩٠٩.

وقال الراغب في المفردات: «التوكيل أن تعتمد على غيرك وتجعله نائبًا عنك، والوكيل: فعيل بمعنى المفعول»[(١)].

وقال الجوهري: «والتوكل إظهار العجز والاعتماد على غيرك والاسم التكلان»[(٢)].

وقال الزجاجي: «الوكيل فعيل من قولك: وكلت أمري إلى فلان وتوكل به أي: جعلته يليه دوني وينظر فيه، والوكيل: الكفيل أيضًا، كذلك قالوا في قوله - عز وجل - في سورة يوسف: ﴿ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ [يوسف: ٦٦] أي كفيل»[(٣)].

وأما «**الكفيل**»: قال الراغب: «وربما فسر الوكيل بالكفيل، والوكيل أعم لأن كل كفيل وكيل وليس كل وكيل كفيلاً»[(٤)].

فهو من كفله يكفله وكفله إياه، والكافل: العائل، وفي التنزيل العزيز: ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ [آل عمران: ٣٧]، والكافل: القائم بأمر اليتيم المربي له وهو من الكفيل الضمين.

وقال ابن الأعرابي: «كفيل وكافل، وضمين وضامن بمعنى واحد، وفي التهذيب للأزهري: وأما الكافل فهو الذي كفل إنسانًا يعوله وينفق عليه»[(٥)].

---

(١) المفردات ص ٥٣١، ٥٣٢.

(٢) الصحاح ٥/ ١٨٤٤، ١٨٤٥.

(٣) اشتقاق الأسماء ص ١٣٦ - ١٣٧.

(٤) المفردات ص ٥٣١، ٥٣٢.

(٥) انظر اللسان ٥/ ٣٩٠٦، والصحاح ٥/ ١٨١١، والنهاية ٤/ ١٩٢.

معناهما في حق الله تعالى:

اسمه سبحانه (**الوكيل**) يأتي بمعنى الوكيل العام على جميع خلقه، وذلك لأنه خالقهم ومدبر أمرهم والمتكفل بأرزاقهم وحاجاتهم ومحييهم ومميتهم، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

يقول الطبري - رحمه الله تعالى - عند هذه الآية: «والله على كل ما خلق من شيء رقيب وحفيظ، يقوم بأرزاق جميعه وأقواته وسياسته وتدبيره وتصريفه بقدرته»[(١)].

ويقول الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - عند قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الزمر: ٦٢].

«فإخباره بأنه على كل شيء وكيل، يدل على إحاطة علمه بجميع الأشياء، وكمال قدرته على تدبيرها، وكمال تدبيره، وكمال حكمته التي يضع بها الأشياء مواضعها»[(٢)].

ويقول في موطن آخر: « (**والوكيل**) المتولي لتدبير خلقه بعلمه وكمال قدرته وشمول حكمته، الذي يتولى أولياءه فيسرهم لليسرى وجنبهم العسرى وكفاهم الأمور»[(٣)].

أما المعنى الخاص (**للوكيل**) فهو ما ذكره الشيخ السعدي سابقًا بقوله: «الذي يتولى أولياءه فيسرهم لليسرى وجنبهم العسرى وكفاهم الأمور»[(٤)]،

---

(١) تفسير الطبري ٧/ ٢٩٩.

(٢) تفسير السعدي ٤/ ٣٣٥.

(٣) نفس المصدر ٥/ ٤٨٨.

(٤) نفس المصدر ٥/ ٤٨٨.

وهو المراد في قوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣]، وقوله سبحانه: ﴿ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وهذه الوكالة خاصة بالمؤمنين حيث إن فيها معنى زائدًا على المعنى العام الذي سبق ذكره وهو معيته الخاصة بأوليائه وإعانته ونصرته لهم.

فتلخص من (الوكيل) المعاني التالية:

١- الكفيل ٢- الكافي ٣- المدبر الحفيظ لخلقه القادر على ذلك

أما معنى (**الكفيل**): فيقول ابن جرير - رحمه الله تعالى - عند قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ ﴾ أي: «وقد جعلتم الله بالوفاء بما تعاقدتم عليه على أنفسكم راعيًا، يرعى الموفي منكم بعهد الله الذي عاهد على الوفاء به والناقض.. وساق بسنده إلى مجاهد في معنى (كفيلا) قال: وكيلاً»[(١)].

وقال القرطبي رحمه الله: « (كفيلاً) يعني: شهيدًا، ويقال: حافظًا، ويقال: ضامنًا»[(٢)].

من آثار الإيمان باسميه سبحانه (الوكيل)، (الكفيل):

أولاً: لما كان من معاني الوكيل: المتولي لأمر عباده حيث منه سبحانه الإيجاد والخلق، ومنه الإمداد بالرزق وأسباب الحياة ومنه الإعداد وأصناف النعم. فإن هذا يستلزم عبادته وحده لا شريك له ومحبته وإجلاله ورجاءه والخوف منه وحده سبحانه وحمده وشكره.

ثانيًا: ولما كان الله - عز وجل - هو المتفرد برزق عباده وبيده النفع

(١) تفسير الطبري ١٤/ ١١٠، ١١١.

(٢) تفسير القرطبي ١٠/ ١٧٠.

والضر، وبيده الموت والحياة فإن هذا يقتضي أوصافًا عظيمة من أوصافه سبحانه الأخرى كحياته وعلمه وقدرته وقوته ورحمته وجوده وكرمه إلى غير ذلك من الأوصاف الحميدة التي يقتضيها اسمه الوكيل والكفيل.

ثالثًا: صدق التوكل على الله وحده في جلب المنافع، ودفع المضار ونفض القلب واليد عمن سواه؛ لأنه سبحانه الضامن لرزق عباده المدبر لشؤونهم، الراعي لمصالحهم بحكمة وعلم وقدرة مطلقة، وهذا يقتضي عدم التعلق بالأسباب مع فعلها لأن الله - عز وجل - أمر بالأخذ بالأسباب الشرعية والنظر فيها إلى مسببها وخالقها وهو الله سبحانه الذي إن شاء نفع بها، وإن شاء أبطلها فعاد الأمر والتأثير والتدبير إلى الله وحده الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وهو الحي الذي لا يموت، قال الله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقال سبحانه: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ﴾ [الشعراء: ٣١٧]، فالوكيل سبحانه حي لا يموت، عزيز لا يغلب، رحيم يرعى مصالح عباده ويسوق الخير إليهم بعلم وحكمة، أما من سواه فإنه يموت ويُغلب، ولا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا فضلاً عن أن يملكه لغيره.. وحقيقة التوكل تكون في غاية الاعتماد على الله تعالى مع غاية الثقة في كفايته وقدرته.

وفي ذلك يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: « و(الاستعانة) تجمع أصلين: الثقة بالله، والاعتماد عليه. فإن العبد قد يثق بالواحد من الناس، ولا يعتمد عليه في أموره - مع ثقته به - لاستغنائه عنه. وقد يعتمد عليه - مع عدم ثقته به - لحاجته إليه، ولعدم من يقوم مقامه. فيحتاج إلى اعتماده عليه. مع أنه غير واثق به.

و(**التوكل**) معنى يلتئم من أصلين: من الثقة، والاعتماد، وهو

حقيقة: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ [الفاتحة: ٥] وهذان الأصلان - وهما التوكل، والعبادة - قد ذكرا في القرآن في عدة مواضع، قرن بينهما. هذا أحدها»[١].

وصدق التوكل على الله تعالى من علامات الإيمان الحق، قال - عز وجل -: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ﴾ [الأنفال: ٢].

رابعًا: لما كان من معاني (الوكيل) و (الكفيل) الضامن لرزق عباده، المتكفل بذلك لهم فإن الإيمان بهذا يمحو القلق والهلع على الرزق في الدنيا، وهذا يلقي الطمأنينة والسكينة في قلوب عباده المتوكلين عليه، ويجعلهم يأخذون بالأسباب المشروعة في طلب الرزق وينأون بأنفسهم عن الأسباب المحرمة.

ويرضون بما كتب الله تعالى لهم من الرزق لأنه سبحانه العليم الحكيم الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويضيق على من يشاء، قال سبحانه: ﴿ ۞ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ۝٦ ﴾ [هود:٦]، وقال - عز وجل -: ﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ۝٢٧ ﴾ [الشورى: ٢٧].

خامسًا: الثقة بكفاية الله تعالى وتوليه لعباده الصالحين ونصرته لهم

---

(١) مدارج السالكين ١/ ٧٥.

وإحسان الظن به سبحانه، وهذا كله يبث الرجاء في النفوس المؤمنة ويذهب عنها اليأس والخوف من المخلوق والإحباط والتشاؤم. ولكن رعاية الله تعالى وتوليه لمصالح أوليائه ونصره لهم إنما يكون بتحقيق التوحيد والتقوى، والتقرب إليه سبحانه بالطاعات وترك المحرمات؛ وهذه قصة رجل صالح من بني إسرائيل قصها الرسول ﷺ علينا يتبين فيها ثمرة التوكل الصادق على الله تعالى وكفايته سبحانه لمن توكل عليه ورضي به وكيلاً وكفيلاً ووثق بكفايته وقدرته.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه: «عن رسول الله ﷺ أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال: ائتني بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيدًا، قال: فائتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلا، قال: صدقت، فدفعها إليه على أجل مسمى، فخرج في البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركبًا يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجله فلم يجد مركبًا، فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها، ثم أتى بها إلى البحر فقال: اللَّهم إنك تعلم أني كنت تسلفت فلانًا بألف دينار فسألني كفيلاً فقلت: كفى بالله كفيلاً، فرضي بك، وسألني شهيدًا فقلت: كفي بالله شهيدًا، فرضي بذلك. وإني جهدت أن أجد مركبًا أبعث إليه الذي له فلم أقدر، وإني أستودعكها، فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركبًا يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركبًا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطبًا، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلفه فأتى بالألف دينار فقال: والله ما زلت جاهدًا في طلب مركب لآتيك بمالك

فما وجدت مركبًا قبل الذي أتيت فيه. قال: هل كنت بعثت إليَّ بشيءٍ؟ قال: أخبرك أني لم أجد مركبًا قبل الذي جئت فيه. قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة، فانصرف بالألف دينار راشدًا»[1].

وأعظم من توكل صاحب القصة توكل الرسول ﷺ وأصحابه الكرام على الله تعالى كما ذكر ذلك سبحانه حالهم في غزوة الأحزاب وغزوة أحد، قال - عز وجل - عنهم في غزوة الأحزاب: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٢].

وقال سبحانه عنهم يوم أحد: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ﴾[آل عمران: ١٧٢].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ قالها إبراهيم- عليه السلام- حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا : ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾[2].

سادسًا: ليس في إطلاق هذا الاسم على الله تعالى نقص كما يتوهمه بعض الناس، فإن الله سبحانه هو (الوكيل) على الحقيقة وهي مجاز في حق غيره؛ لأنه سبحانه منه الإيجاد والإمداد والإعداد ومن المستحيل أن ينوب عن الله سبحانه في ذلك أحد غيره، فمن عرف الله - عز وجل - حق معرفته بأسمائه وصفاته لم يتوكل إلا عليه، ولم يفوض أمره وجميع شؤونه إلا إليه.

---

(١) البخاري (٢٢٩١).

(٢) البخاري (٤٥٦٣).

قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

الفرق بين وكالة الخالق ووكالة المخلوق:

وما سبق يقودنا إلى معرفة الفرق بين وكالة الخالق سبحانه ووكالة المخلوق وقد سبق أن الخلق قد يشتركون في بعض دلالات الأسماء الحسنى كالسمع والبصر، والحياة والقدرة وغيرها من الصفات ومنها صفة الوكالة أو إطلاق اسم الوكيل على المخلوق، ولكن هذا لا يعني التشابه في الصفات لمجرد الاشتراك في الاسم؛ فأين سمع الإنسان من سمع الرحمن الذي وسع سمعه جميع الأصوات سرها وعلانيتها، وأين بصره من بصره سبحانه، وأين علمه وحكمته من علمه وحكمته. وقل هذا في جميع الصفات فإثباتنا لصفات الله تعالى مقرون بالتنزيه عن مشابهة الخلق في ذلك وقطع الطمع من إدراك الكيفية مع علمنا بمعناها، ومن ذلك إطلاق اسم (الوكيل) على المخلوق.

وقد ذكر الغـزالي – رحمـه الله تعالى – فروقًا بين وكالة الله – عز وجل – ووكالة المخلوق فقال: «الوكيل: هو الموكول إليه الأمور، لكن الموكول إليه ينقسم إلى:

١- من وكل إليه بعض الأمور وذلك ناقص.

٢- وإلى من وكل إليه الكل وليس ذلك إلا الله تعالى.

والموكول إليه ينقسم إلى:

١- من يستحق أن يكون موكولاً إليه لا بذاته ولكن بالتوكيل والتفويض، وهذا ناقص لأنه فقير إلى التفويض والتولية.

٢- وإلى من يستحق بذاته أن تكون الأمور موكولة إليه، والقلوب

متوكلة عليه، لا بتولية وتفويض من جهة غيره، وذلك هو الوكيل المطلق.

والوكيل أيضًا ينقسم إلى:

١- من يفي بما يوكل إليه وفاءً تامًا من غير قصور.

٢- وإلى من لا يفي بالجميع.

والوكيل المطلق هو الذي توكل إليه الأمور، وهو مَليٌّ بالقيام بها وفيٌّ بإتمامها، وذلك هو الله تعالى فقط. وقد فهمت من هذا المقدار مدخل العبد في هذا الاسم[١].

ويضاف إلى ذلك أن (الوكيل) من الخلق يكون قادرًا على القيام بأمر موكله في وقت وعاجزًا عنها في وقت آخر، غنيًا في وقت فقيرًا في آخر، عالمًا بشيء جاهلاً بغيره، حيًا في وقت ميتًا في غيره، والله جل شأنه يتعالى عن ذلك كله[٢].

والتوكيل الجائز: «هو أن يُوكَّل الإنسان في فعلٍ يقدر عليه فيحصل للموكِّل بذلك بعض مطلوبه ، فأما مطالبه كلها فلا يقدر عليها إلا الله وحده»[٣].

وإذن غاية توكيل المخلوق أن يفعل بعض المطلوب فيما يقدر عليه وهو لا يفعله إلا بإعانة الله تعالى له، فرجع الأمر كله لله وحده الأول الذي ليس قبله شيء.

---

(١) المقصد الأسنى ص ٨١.

(٢) انظر النهج الأسمى/ محمد النجدي ٢/ ٣٠.

(٣) جامع الرسائل والمسائل ١/ ٨٩.